

الرحلة في الأدب العربي

قصي علي حسين

خريج ماجستير قسم اللغة العربية - جامعة أصفهان - إيران

albablyqsy193@gmail.com

الدكتور محمد خاقاني اصفهاني

أستاذ في قسم اللغة العربية - جامعة أصفهان - إيران

khaqani@fhn.ui.ac.ir

The Journey in Arabic Literature

Qusai Ali Hussein

Master's degree graduate of the Department of Arabic Language -
University of Isfahan - Iran

Dr. Mohammad Khaqani Isfahani

Professor at the Department of Arabic Language - University of Isfahan -
Iran

Abstract:

The journey is a branch of ancient literature that was known in the past, and was closely linked to the places where travelers went to discover a new land; So the journey is known: that it is everything that was written and written in past eras, and it is a literary genre that is distinguished by being a literary and scientific wealth that is rich in many important information that travelers have been discovering and delivering to the rest of the world. It is a rich and original literature, which I was attracted to; Because it is a virgin literature, the ships of studies did not go into its sea much, but a large part of it remained hidden and not studied until now, as well as the lack of such studies in the literature of the journey. The journey in the Arab world, and I proceeded in this research to study the travel literature, a historical study of the travel literature in Arabic literature. . The way the trip is written varies according to the writer's culture and the literary methods he possesses that enable him to formulate his trip in a literary style that makes it smooth in texture and melts in the readers' ears and leaves a beautiful impression behind. We noticed that the description is one of the most important elements that characterize the trip, and the traveler depends on depicting the sights he sees, whether these attractions are internal or external. The trip is a historical document through which the travelers aim to search for information about the countries that the travelers intended.

Key words: The journey, literature, travel literature

الملخص :

الرحلة فرع من فروع الأدب القديمة عرفت في الماضي، وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالأمكان التي كان الرحالة يقصدونها لاكتشاف أرض جديدة؛ إذن الرحلة تعرف: بأنها كل ما ألف ودون في العصور الماضية، وهي جنس أدبي يتميز بكونه ثروة أدبية وعلمية تزخر بالعديد من المعلومات المهمة التي دأب الرحالة على اكتشافها وإيصالها إلى بقية بلدان العالم، وهو أدب غني وأصيل، جذبني العمل به؛ لكونه أدباً بكرًا لم تخض سفن الدراسات في بحره كثيراً، بل ظل جزء كبير منه مخفياً لم يدرس إلى الآن، وكذلك افتقار المجال الأدبي إلى مثل هذه الدراسات التي تخض في أدب الرحلة، فكل ما نلناه بالبحث الدقيق والتمحيص في المكتبات وشبكات الأنترنت هو ما يخص أدب الرحلة في العالم العربي. اختلاف طريقة كتابة الرحلة بحسب ثقافة الكاتب وما يمتلكه من أساليب أدبية تمكنه من صياغة رحلته بأسلوب أدبي يجعلها سلسلة الملمس تذوب في مسامع القراء وتترك انطباعاً جميلاً خلفها. مما توصلنا إليه أن الوصف من أهم العناصر التي تمتاز بها الرحلة، والرحالة يعتمد على تصوير المعالم التي يشاهدها أن كانت هذه المعالم داخلية أو خارجية. تعتبر الرحلة وثيقة تاريخية يهدف الرحالة من خلالها إلى البحث عن المعلومات عن البلاد التي قصدها الرحالة.

الكلمات المفتاحية: الرحلة، الأدب

العربي، أدب الرحلة

المقدمة :

أدب الرحلة نوع أدبي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث وما صادفه من أمور أثناء رحلة قام بها لأحد البلدان . إن أدب الرحلة هو فنٌ من الفنون التي تحتاج إلى خلفية علمية وأدبية وثقافة واسعة ، وذاكرة نشيطة، وملكة ذهنية قادرة على الالتقاط السريع للمشاهدة والصور والأحداث، وإلى انتباهه للمكان والناس والزمان وشواهد التاريخ والحضارة، وتسجيل ذلك كله في الذاكرة أو تدوينه مباشرة ؛ لكي لا تضيع التفاصيل .

إن الكتابة في أدب الرحلات كانت لافتةً للأنباء بشكل مميز، كونها تتناول أدباً جميلاً يتضمن مشاهدات حية تعكس وتوثق كل ما يصادف الرحالة لما لهذا الأدب من سمة علمية واجتماعية وجغرافية أكثر مما هي أدبية، كوصف النظام السياسي والاقتصادي السائد في تلك البلدان ، ووصف الابنية والفن المعماري والشوارع والمعالم الأثرية الشهيرة فيها، ثقافة أهلها وتراثهم وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية، مراسم الأعياد والاحتفالات عندهم و الأديان والمعتقدات المختلفة و التعايش بين الشرائع المختلفة في ذلك المجتمع، جغرافية ذلك البلد، وتاريخه وثرواته ومنتجاته وأشهر شخصياته و يتحدث أيضاً عن الأحداث والمغامرات المشوقة التي حصلت معه أثناء الرحلة .

يختص هذا البحث بأدب الرحلة في الأدب العربي وما لهذا الأدب العريق من جذور تاريخية أسهمت بشكل خاص في جوانب الأدب ، وأضفت عليه المزيد من الأفكار التي زادت من قوة هذا الجانب الأدبي. وأيضاً هي تصوير مشاهدته الرحالة من الأدباء ووثقوه على شكل رواية أو قصة شكلت انبثاقه نور هذا النوع من الأدب تطوره بشكل ملحوظ. ونجد أن الرحلة نوع سردي عربي عريق قدم فيه العرب تراثاً مهماً في فترات ازدهار الحضارة العربية الإسلامية وانحسارها، وليست الرواية كما تحقق نوعاً سردياً في العصر الحديث سوى رحلة بحث واستكشاف كما كان يفعل الرحالة قديماً، وهو يجوب الفضاءات، ويصف الممالك والمسالك ويعدد المهالك، أو يلتقي بالرجال ويأخذ عنهم من تاريخ خروجه من موطنه إلى أن يعود إليه، والرواية رحلة استكشاف للواقع وللذات وللأنا وللإنسان، بكيفية مختلفة عن الطريقة التي سلكها الرحالة، مؤسساً لنوع سردي له خصوصيته ومقاصده . إن أدب الرحلات فيما مضى مرتبط

بالرحالة المسلمين، إذ كانوا يعتمدون إلى تدوين رحلاتهم سواء كان ذلك برغبتهم الشخصية، أم برغبة أصدقائهم، أو لما يطلبه الحكام من الرحالة الذين يصلون إلى أماكن بعيدة، وكانت هذه المؤلفات تُفيد في إرشاد الناس عند وصولهم إلى المدن التي كُتبت فيها مدونات الرحالة، فتكون هذه المدونات بمثابة دليل لهم، أما في العصر الحديث، فقد تغيرت العديد من المفاهيم المرتبطة بهذا النوع من الفنون الأدبية، وأصبح يُطلق عليه في بعض الأحيان الأدب السياحي. وقد عملت بعض الظروف على تراجع هذا النوع من الفنون الأدبية بسبب سهولة الترحال واكتشاف المناطق وتوثيق كل ما يختص بها علمياً بأسلوب مرئي أو مكتوب أو مسموع. لقد كانت الرحلة عوناً للمؤرخ والجغرافي على حد سواء؛ إذ إن أغلب الجغرافيين المسلمين كانوا رحالة سجلوا مشاهداتهم ومعانياتهم للأقاليم المختلفة التي وطئوها. فقد كان للرحلة دور في صقل منهج هؤلاء وتأكيدهم الوقائع والأحداث بالمشاهدة والملاحظة وأدت بذلك إلى اتساع أفق صاحبها لكثرة ما زار من البلدان واختلط بالعلماء واصحاب المعرفة، فجاءت بذلك في أسلوب أدبي رفيع.

١- الرحلة لغة :

إن لفظة الرحلة وردت في الكثير من المعاجم اللغوية وكل معجم، أو قاموس له دلالة وتفسيره اللغوي، إلا أنها في نهاية المطاف تؤدي نفس المعنى، وهو الدلالة على السفر والتنقل من مكان إلى آخر، وهنا بعض الآراء للعلماء والمفسرين الذين كتبوا المعاجم القيمة التي تعطي دلالات دقيقة وقيمة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر .
«الراء والحاء واللام ، أصل واحد يدل على مضى في سفر. يقال : رَحَلَ يَرَحُلُ رَحْلَةً، وجمل رَحِيل، ذو رَحْلَةٍ إذا كان قوياً على الرحلة. والرحلة، الارتحال » ، (زكريا ، ١٩٧٩م : ٤٩٧) .

و(رَحَلَ) عن المكان، رَحَلاً، وَرَحِلاً وترحالاً، وَرَحْلَةً : سار ومضى . و(أَرَحَلَ) فلان كثرت رواحله . فهو مُرَحِلٌ . و(الرُّحَالُ)، العرب الرُّحَال . الذين لا يستقرون في مكان ويحلون بمأشيتهم حيث يسقط الغيث وينبت المرعى . (الرُّحَالَةُ) الكثير الرحلة . والتاء للمبالغة) . و(الرحلة) الارتحال . (ج) رِحْلٌ .

وفي التنزيل العزيز، { رحلة الشتاء والصيف }، (قريش : ٢)، و(الرحلة)، ما يرتحل إليه من الآفاق . و(الرُّحُولُ)، كثير الارتحال . والقوي على الارتحال والسير . و(

الرَّحَلُ : الارتحال وموضعه. وموضع الرحل. و «الرَّحَلَةُ ، المسافة يقطعها السائر في نحو يوم. أو بين المنزلتين. (ج) مراحل » ، (مصطفى، ٢٠٠٤م: ٣٣٤-٣٣٥) .

والترحال والارتحال، الانتقال وهو الرحلة والرحلة. والرحلة ، اسم للارتحال للمسير . يقال : دنت رحلتنا. «ورحل فلان وارتحل وترحل ، والرحلة بالضم، القوة و الجودة أيضاً . و يروى بالكسر بمعنى الارتحال. والرحلة الارتحال، والرحلة ، بالضم ، الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، تقول : أنتم رحلتي أي الذين أرتحل إليهم » ، (بن منظور، ١٣٦٣ق: ٢٧٧-٢٧٩) .

ورحال (مفرد)، ج، رحال ورحالة، ورحل ورحالون ، صيغة مبالغة من رحل، رحل عن ، دائم التنقل الذي لا يستقر في مكان . ورحلة (مفرد)، ج رحلات (لغير المصدر) ورحلات (لغير المصدر) ورحل « لغير المصدر » : مصدر رحل ، رحل عن ورحل ، انتقال إلى مكان آخر ، و يكثر في الدلالة على الخروج للنزهة والترويح عن النفس » ، (عمر، ٢٠٠١م: ١٧١) .

و «الرحلُ مسكن الرجل وما يستصحبهُ من الأثاث » ، (الرازي، ١٩٨٦م: ١٠٠) .
و « ترحل القوم، وهو ارتحال في مهلة ، ورحل الرجل . منزله و مسكنه ، يقال : إنه لخصيب الرحل » ، (الفراهيدي، ٢٠٠٣م: ١٠٦) .
و « الرحلة بالضم ، الوجه الذي تريده . تقول . أنتم رحلتي » ، (الأزهري، ٧) .

و «الرحالُ العربُ الرحال ، الذين لا يستقرون في مكانٍ و يحلون بماشيتهم حيث يسقط الغيثُ وينبت المرعى ، و (الرحالة) الكثير الرحلة ، و (الرحل) العرب الرحل ، الرحال » ، (ضيف، ١٩٨٠م: ٢٥٩) .

ومن خلال ما تطرقنا إليه في مقدمة التعريف نجد أن جميع المدلولات المعجمية – وإن اختلفت في ترتيب بعض الحروف – دلت على معنى واحد وهو السفر والترحال من مكان إلى آخر لمختلف الأسباب التي دعته لتلك الرحلات .

٢- الرحلة اصطلاحاً :

الرحلة : « من الارتحال، وهي تعني الانتقال من مكانٍ إلى آخر لتحقيق هدفٍ معين ، مادياً كان ذلك الهدف أو معنوياً » ، (الصعدي، ١٩٩٦م: ١٥) .

أوهي التنقل بين البلدان من أجل الاتعاظ في خلق الله سبحانه وتعالى، « فان التنقل في البلاد والتأمل في مخلوقات الله من العباد، تذكرة للقلوب وأي تذكرة، وتبصرة يالها من تبصرة » ، (المكناسي، ٢٠٠٣م: ٤٧) .

والرحلة بمعنى السفر (وجمعه أسفار) بين البلاد، وما يتطلبه من قطع مسافات بعيدة ، ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ ، (سبأ : ١٩) .

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا غَدَاءٌ نَأْكُلُ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ ، (الكهف ، ٦٢) . وفي السفر يقول الشافعي في ديوانه :

سَافِرٌ تَجِدُ عِوَضاً عَمَّنْ تُفَارِقُهُ وَانْصَبَ فَإِنْ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ

(الشافعي، ١٩٨٥م: ٥٤)

وكذلك نجدها في قصيدة ابن القيم وهو وصف رائع للرحلة :-

رحلتُ وأشواقِي إليكم مقيمة ونار الأسى مني تشبُّ وتُضرمُ

(العثيمين ، ١٤٢٩م: ٨) .

. والرحلة جنس أدبي من الأجناس الأدبية ، أو هي فن أدبي متميز وفريد من نوعه كانت له بدايات محدودة وبسيطة وتطور عبر مراحل القرون السابقة ليكتمل نموه الأدبي والبلاغي ليصبح فنا ذا قيمة أدبية ومكانة مرموقة ويحتل درجة رفيعة من مراتب الأدب العربي والعالمي، او هو نوع من أنواع النصوص الأدبية الذي يسرد فيه الرحال ما حصل معه وهو بهذا يصور بعض المشاهد تصويراً يكون دقيقاً ومعبراً عن انطباعاته في رحلاته؛ إذا أدب الرحلة هو في الأساس أدب تجوال ومشاهدة ومغادرة أماكن والوصول إلى أماكن أخرى؛ إذ أصبح المجال الخصب الذي يتبارى فيه الأدباء من خلال تسجيل ما وثقوه في أذهانهم وكتبوه في قراطينهم و زينوه بأنواع الحلي والجواهر البلاغية التي زادت حُسناً إلى حسنه وجمالاً إلى جماله ، وهيبة ورونقاً إلى هيئته ورونقه .

« نحن نرى الرحلة نوعاً من الحركة، وهي أيضاً مخالطة للناس والأقوام، وهنا تبرز قيمة الرحلات كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة » ، (فهميم ، ١٩٨٩م: ١٥) .

وقد أشار القرآن الكريم إلى الرحلة، وهي رحلة الإنسان في مسيرة حياته { منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى }، (طه : ٥٥) . { ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش ... }، (الأعراف: ١٠) . وهي إشارة واضحة بأن الرحلة هي من أسبابها التنقل بين البلاد المختلفة لأسباب معيشية، وأخرى مختلفة باختلاف الحاجة إليها.

إن أدب الرحلات يُعدُّ من مصادر العلوم الجغرافية والاجتماعية والتاريخية؛ لأنَّ الرحالة هنا يقوم بجمع المعلومات الكاملة والواقعية ويوثقها في كتاباته لكي تكون مصدراً مهماً لما بعده في كشف حقائق البلدان وخفاياها والاستفادة من علومها ومعارفها ونقل هذه العلوم المختلفة إلى بلدانهم عند عودتهم . « الارتحال من مكان إلى مكان، ومن حالة إلى حالة ، فعل سبق كل الأفعال ، وسمة سبقت كل السمات، وتحولت إلى حلم و شوقٍ تتطلع إليه كل نفس ، وهاجس ملح يحوم في أعماق الكثير من المخلوقات ، حتى الحيوان و الطير، ولعل الطيور المرحلة والمهاجرة، معلم شهير من معالم الطبيعة التي تبحث عن وجودها وأحلامها في الأمن والطعام والتزاوج ، فتندفع بالأجنحة والقلوب والعزائم نحو بلاد بعيدة ، وفاق رحية ، تعانق فيها صورا جديدة ومشقة من صور الحياة و تجلياتها الملهمة » . (/الحمد : ٢٠٠٧م: ٤) . ونص الرحلة له مقومات وإن كانت مختلفة ومتغيرة حسب العصر وحسب نوع الرحلة او المهم من ذلك كله حسب شخصية الرحالة ككاتب وما يرتأيه من اسلوب يراه مناسباً في إيصال الصورة او المشاهد التي زارها بمختلف المناطق الى بلده والاستفادة من تلك المشاهد في تطور مختلف العلوم إن كانت هندسية او طبية او ثقافية، وغيرها التي تنهض بواقع البلد وتحسن مستقبله.

ويبدو مما سبق أن الرحلات تكون قيمتها بما تمدنا فيه من معلومات ثقافية وإجتماعية وإقتصادية وجغرافية لجميع البلدان التي يزورونها ، فأدب الرحلات يُعدُّ ترجمة للكثير من العلوم التي لا نجدها في الكثير من الكتب القيمة والمصادر المهمة، فالرحالة وثقوا لنا من خلال زياراتهم ورحلاتهم لتلك البلدان، وأمدونا بتراث خصب ومعلومات وفيرة تكون عوناً لكل باحث وأديب يريد الخوض في بحر الأدب العميق والعزير .

٣- نشأة أدب الرحلة :

جلي بالذكر أن العرب أسهموا إسهاماً كبيراً ، في تطور أدب الرحلات و فأبدعوا فيه حتى فاقوا أقرانهم في السبق إلى التفنن فيه بأساليب الإبداع المختلفة ، مصورين

بذلك الأوضاع التي عايشوها بأنفسهم طوال رحلاتهم ، « كان المسلمون إحدى حلقات الاتصال بين الإغريق القدماء و أوروبا الحديثة ،... ، وامتاز العرب عن الإغريق بنزعة علمية في العلوم » ، (موسى ، ٢٠١٤م : ٦٣) ، وهو امر أدى الى أن تصبح دولة واحدة والغيت فيما بعد بينهما الحدود مما أدى الى كثرة الرحلات بين هذه الدولة الواحدة المجتمعة ، « إن أحد أهداف هذه السلسلة من كتب الرحلات هو الكشف عن طبيعة الوعي بالآخر الذي تشكل عن طريق الرحلة ، والأفكار التي تسربت عبر سطور الرحالة ، والانتباهات التي ميزت نظرهم إلى الدول والناس والأفكار » ، (كينغلك ، ٢٠٠٥م : ٥) .

وقد سجل لنا التاريخ الكثير من الرحلات القديمة ، منها رحلات قام بها المصريون (الفراعنة) قديماً ، وكذلك رحلات قام بها الفينيقيون في البحار ، وكذلك للإغريق رحلات للبلدان ، سجلوا من خلالها ما صادفوه في رحلاتهم ، وقدموا معلومات جمة عن طبيعة الأرض ، وهم بذلك يعتبرون أول من أخبر بأن الأرض كروية ، وأول من قال بأن خلف البحار والمحيطات الشاسعة أرض يابسة صالحة للسكن .

« وكان للفينيقيين رحلات بحرية خاضوا فيها عباب المحيط الأطلسي وخطوا رحالهم في الجزائر البريطانية ، وأقاموا مستعمرات لهم على طول بحر الروم في الجنوب وفي أسبانيا . وخلفهم الإغريق يقيمون مستعمرات لهم في البحر الأسود وفي بحر الروم ، وقد عنوا عناية واسعة بوصف البلدان والأقاليم التي زاروها ، وقدموا لنا كثيراً من المعارف الجغرافية » ، (ضيف ، ١٩٥٦م : ٧) .

تعد رحلة آدم وحواء أقدم رحلة ، وذلك بانتقالهما من بيئة إلى بيئة ، من الجنة إلى الأرض ، وهي في حقيقتها تمثل أول رحلة قام بها الإنسان مغادراً من مكان إلى مكان آخر ، ومنذ ذلك الحين والترحال ، أو السفر قائم على قدم وساق من أجل البحث عن الأراضي الخصبة و توفر مقومات الحياة التي تساعد على العيش فيها . « ولم تقتصر الرحلة على مجرد التفقة لغرض ديني يستهدف تصحيح العقيدة وحسن العبادة يستوي فيها العامة والخاصة ، وإنما امتدت لتشمل أفراداً متعلمين في مجالات مختلفة ، دينية وأدبية وطبيعية وغيرها ، يرحلون إلى شيوخ أعلام يأخذون عنهم العلم والخبرة ، كل

في مجال تخصصه لغرض علمي أو ثقافي ، ومن هنا تأخذ الرحلة مفهومها الخاص « ، (الياقوت ، ٢٠٠١م : ٢٢) .

نلاحظ أن الرحلة موجودة بمعناها الصريح والواضح منذ بداية الإسلام ، « فلقد كان أهل مكة يألّفون الرحلة بعد إنتشار الإسلام لأغراض شتى ، بعضها ديني وبعضها إجتماعي » ، (الصعدي ، ١٩٩٦م : ١٥) .

وما أشار إليه القرآن الكريم في سورة قريش ماهو إلا تأكيد لهذه التسمية لتصبح فيما بعد تسمية عامة لكل ما يقوم به الإنسان من الانتقال من مكان إلى آخر ، « والحق أن الإنسان منذ أن يولد حتى يموت في رحلات دائبة ، تتعدد أشكالها بمرور الأيام وبتغير الظروف والأحوال ، بل إن لحظات ميلاده تعدّ رحلة من رحِم الأم إلى دنيا الوجود ، ، ورحلات من داخل الوطن إلى خارجه ، وتتسع مساحة الحركة و تمتد الرحلة لتصبح رحلة من الأرض إلى القمر والكواكب » ، (قنديل ، ٢٠٠٢م : ١٨) .

إن تطور الحياة وحب الإنسان إلى السفر وعشقه له من قبيل المغامرة والشغف ، أدى ذلك إلى استكشاف بلدان كثيرة و التعرف على أحوالها و توثيق ذلك والاستفادة منه في بلدانهم الرئيسة .

« والذي يسافر إلى الأماكن البعيدة يريد أن يعرف . . يريد أن يفهم . . يريد أن يرى الجانب الآخر من الجبل أو النهر أو البحر . . والجانب الآخر من الإنسان ومن تجاربه من أجل الحياة والتقدم » ، (منصور ، ٢٠٠٦م : ٣) .

إذن الغاية الأساس من الرحلة هي المعرفة ، معرفة أحوال البلاد والعباد والاطلاع على أمورهم الحياتية عن كتب والاستفادة منها ونقلها الى بلدانهم بعد عودتهم من سفرهم . « والرحالة ينقل للقارئ صورة مرئية وقصة صوتية لكل ما شاهد وسمع » ، (أحمد : ٦) .

إذن من هنا نفهم أن مهمة الرحالة في الأزمنة المختلفة كان نقل الصور والأخبار التي دعت و حفزت فيما بعد على السفر من أجل الأطلاع عن كتب على تلك الصور والمشاهد التي صورها أسلافهم والأخذ منها والاستفادة من علوم ومعارف وطبيعة البلد ، إذن لكل بلد مميزات و طبيعة خاصة به تميزه عن غيره وقوانين وأسلوب معيشة مختلف ، تحفز الغير على الأخذ والاستفادة منها جميعاً ونقلها الى بلدهم ، والرحلة فيها

تقصي حقائق حول العلم والثقافة والتجارة والتعرف على العالم الفسيح . » وأدب الرحلة .. في بدأ الأمر ومنتهاه .. هو محاولة لأكتشاف سر الأشياء، و التعرف على تكوينها الذي يبدو أحياناً ككتل الجليد العائمة في المحيطات والبحار، لا يظهر منها سوى العشر ، وتبقى الأعشار الأخرى مغمية تحت الماء » ، (خليل، ٢٠٠٥م: ٦) .
من كل ما سبق نجد أن الرحلة نوع سردي عريق . قدم فيه العرب تراثاً مهماً في فترات ازدهار الحضارة العربية الإسلامية .

٤- أهمية أدب الرحلة :

للرحلة أهمية أساسية ورئيسة في الأدب العربي ، وأدب الرحلة تكمن أهميته وتأثيره بقدرما يحتويه النص الرحلي من معلومات ذات قيمة أدبية كانت أو معلومات جغرافية أو معلومات عامة تكون ذا فائدة وقيمة. » واكتسب هذا اللون الأدبي أهميته في أنه قائم على تصوير جوانب الحياة المختلفة. وهو يتقاطع بشكل واضح مع حقول متعددة: كالجغرافيا، والتاريخ، والأخبار والسير، وغير ذلك؛ لذا فإن المطلع على الرحلات يجد فيها إلى جانب المتعة مادة تثقيفية تعليمية، تساهم في إثراء فكره وإنارة بصيرته » ، (الرقيب، ٢٠١٩م: ١١١) وما تحويه كذلك من جواهر بلاغية تزين الأدب العربي بجمالها ، وصيغ تعبيرها، بما تفيد القراء والعلماء بالكشف عن مكنونها .
والملاحظ والمطالع لأدب الرحلة عن كتب من خلال مشوارها الطويل على مدى قرون طويلة يراها تحمل في طياتها و بين ثناياها الكثير من الأسرار لما صادفه الإنسان خلال رحلته من أمكنة وشعوب ، والتعرف عليها وتدوين كل شاردة وواردة عما صادفه في مشواره الطويل ، والرحلة تمثل إستكشاف لما كان قد أخفي من الأسرار، أن كانت هذه الأسرار أو المعالم جغرافية أو تاريخية أو اقتصادية أو اجتماعية. » ومن خلال الرحلة، نرى العالم ، والعديد من مظاهر الحضارة الإنسانية ، ونسافر مع الرحالة، فالإنسان رحال بطبيعته، تواق أبداً إلى المعرفة وارتياح المجهول، وحب الأكتشاف، فالرحلة هدف يتمناه العقل وتسعى إليه الروح ، ولكن ليس من رأى وأخذت الأسفار من عمره كمن قرأ أو سمع فقط » ، (الشوابكة ، ٢٠٠٦م: ٥) .
وللرحلة العربية بالخصوص دور بارز وفعال في كشف البلاد الاوربية، ولها يرجع الفضل في كشف النقاب عن بعض الدول التي لم تكن معروفة ، كما نلاحظ من أن

روسيا وبحسب الروايات لم تكن معروفة، والكثير من الرحلات الغربية لم تكتشفها ، ويرجع الفضل والسبق في الكشف عنها بحسب مقولة المستشرق "فرهن " ، « فألقى العرب أنواراً كثيرة على تاريخ الغرب القديم ، وأدلى بمعلومات نافعة وخاصة عن البلغار وروسيا في عهدها البعيد » ، (ابن حماد ، ١٩٥٩م : ٢٩) .

إذن للعرب اسهامات ودور فعال في الكشف عما يحتويه هذا الكون العجيب ، وهذه الأرض الواسعة ، من بلاد واسعة ، كانت نوعاً ما معزولة عن العالم . وهم بذلك لم يكتفوا بالكشف عنها فحسب ، بل ذهبوا يفصلونها تفصيلاً ، من حيث لونها ، وحياتهم ، ومعيشتهم ، وعاداتهم ، وكذلك تصوير حياتهم الاجتماعية ، من خلال ما ورد نرى أن للرحلة مهمة خاصة وأهمية بالغة ، إذ إنها تمثل في حقيقتها عملية كشف النقاب عما كان مخفياً في بلدان العالم ، وأهو بمثابة جوهرة قد غطاها الركام و الأتربة فقام الرحالة بإزالة هذا الركام ، ليشع نورها ، ويسطع بريقها لجذب من أستهوت نفسه السفر والترحال وإن كانت البواعث شخصية أو ترفيهية في أغلبها ، إلا أنها أتت بنتائج مثمرة زادت من المعرفة الشيء الكثير والعلم الوفير . وقد تكون الرحلة هواية ، تستهوي الإنسان ، أو رغبة ملحة ، تشبع حاجاته وترضيه ، « وقد تكون الرحلة احترافاً يخدم مصالح الإنسان ، أو التزاماً وواجباً يلبي حاجاته » ، (الشامي ، ١٩٩٩ م : ١١) .

« هنالك الرحلة للرحلة ، أي بدوافع الرغبة – فقط – في النقلة والتجوال . وهناك الرحلة بسبب العمل في الخارج على غرار ما يقوم به الطلاب لفترة محدودة » ، (النساج : ١٢) .

واختلفت الرحلة باختلاف الهدف من ورائها فبعض الرحلات كانت علمية صرفة ونقصد بها أنها اشتملت على علوم ومعارف إن كانت هذه العلوم دينية أو تاريخية أو جغرافية أو اقتصادية أو اجتماعية . « تعد كتب الرحلات من أفضل مصادر الجغرافيا الإقليمية في عصر ازدهارها » ، (الكيلاني ، ٢٠١٤ م : ٢٠) .

وللرحالة ابن خرداذبه المتوفي ٢٧٢هـ ، الفضل الكبير لنضوج ثمار رحلات من سبقه في علم الجغرافيا ، وكذلك لما تقدمه هذه الرحلات من معلومات برزت من خلال المشاهدة بعين الواقع ، أو ما نُقِلَ عن الثقة ، لذلك فأن كتب الرحلات قديماً الفضل في ظهور بدايات علم الاجتماع ، بسبب ما كان من اتصال مباشر ما بين الرحالة والآخر .

« أما القيمة العلمية ، فقد تأتت لها مما تحتويه معظم هذه الرحلات من كثير من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، مما يدونه الرحالة تدوين المعالين في غالب الأحيان من جراء اتصاله المباشر بالطبيعة وبالناس و بالحياة خلال رحلته » ، (حسين ، ١٩٨٣م : ٦- ٧) .

وبعضها كان أدبيّ، وهو تصوير ما مضى في قديم الزمان من أساطير وقصص والتعرف على حقيقتها وصياغتها صياغة أدبية ومطرزة بأساليب أدبية تكون أقرب إلى السامع، والتي تشجع الكثير ممن لم يألف الرحلة على شد الرحال للتعرف على خفايا المدن والأمصار والكشف عن مكنوناتها العلمية والثقافية وغيرها من مختلف سائر العلوم التي ما وصلت إلينا لو لا جهود بعض الرحالة الذين تحملوا ما تحملوا وعانوا ما عانوه في سبيل إيصال ما كان مخفياً عن أعين الكثيرين . أما القسم الآخر من أهداف الرحلة، فكان تعليمي بامتياز بسبب ما شاهده الرحالة وعاشوه من مختلف الثقافات التي عادت بالنفع على رائدها، وكذلك ما زادته هذه الرحلات من إثراء الشعوب بعادات وأساليب وثقافة القراء بسبب الاطلاع المباشر والمعاشة لمن ارتحلوا اليهم . « وإذا حددنا هذه العلوم بأنها تسجيل للظواهر المختلفة المتعلقة بميادينها ودراسة هذه الظواهر وتفسيرها، فإن الرحلة يمثل دور الناقل لهذه الظواهر ليضعها بين أيدي الجغرافيين أو المؤرخين أو علماء الاجتماع مثلاً » ، (المصدر نفسه : ٧) . إذن من كل ما سبق يمكننا أن نعد الرحلة بأنها تمثل وثيقة تاريخية تصلح لكل زمان، لاحتوائها على المواد العلمية والأدبية التي تمد الباحثين بالعلوم على اختلاف تخصصاتهم لأنها تكشف عن المخفي من النصوص المجهولة في أنحاء العالم؛ لأنها تتضمن في ثناياها الكثير من المعارف التاريخية والعلوم الجغرافية ، وهي بذلك تصوير حي للحياة السياسية والاقتصادية لتلك البلدان .

٥- دواعي الرحلة :

الرحلة كغيرها من الفنون الأدبية تطورت وازدهرت على مر العصور ، ويرجع الفضل في ذلك إلى الرواد الأوائل الذين سلكوا هذا المسلك الصعب - لما فيه من مخاطر - وجابوا البلدان من أجل مختلف العلوم ، وأولها الاستكشاف، أي حب الاطلاع ، وبرعوا فيه وبرزوا ، وإلى الآن آثارهم موجودة، ويرجع إليهم الفضل في تطور العلم،

وازدهار المعارف في وقتنا الحاضر، وللرحلة كغيرها من سائر الآداب دواعٍ وأسباب دعت الرحالة إلى أن يسلكوا هذا الطريق المملوء بالمخاطر، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :-

١. حب الاطلاع والكشف عن حقائق الأشياء. « تكشف عن همة العربي في ارتياد الآفاق و استعداده للمغامرة من باب نيل المعرفة مقرونة بالمتعة ، وهي الى هذا وذاك تغطي المعمور في أربع جهات الأرض وفي قاراته الخمس » ، (العياشي ، ٢٠٠٦ م : ٧) ، فالإنسان بطبيعته يكون تواقاً لاكتشاف ما حوله لما يعتريه من فضول التعرف، وهذه الفطرة الموجودة في الإنسان ، هيأت له ارتياد الأرض وكشف النقاب عن أسرارها الدفينة .
٢. الكشف عن خفايا الدول ونقاط القوة والضعف لديها ومعرفة خفاياها الاقتصادية والمالية و الاستفادة منها. « إعطاء كل المعلومات الكافية عنها والاحصاءات التي توصل اليها خصوصاً من الناحية المالية والاقتصادية والعسكرية » ، (الفاسي ، ١٩٦٧ م : ث) . وهو ما أعطى صورة واضحة ودقيقة لمن أراد غزو البلدان ، فكان عنده معرفة بدقائق الأمور، صغيرها ، كبيرها ، و شاردها ، وواردها ، ومناطق الضعف التي من خلالها يسيطر على مبتغاه وهدفه .
٣. الرحلة اتصال ببقية الشعوب ومقارنة بين الراحل والمترحل اليه ، من أناس أو علماء. « الكشف عن طبيعة الوعي بالأخر الذي تشكل عن طريق الرحلة ، والافكار التي تسربت عبر سطور الرحالة ، الانتباهات التي ميزت نظرتهم إلى الدول والناس والأفكار» ، (باشا ، ٢٠٠٢ م : ٩) . أو هي « ومن خلال الرحلة ، نرى العالم ، والعديد من مظاهر الحضارة الإنسانية ، ونسافر مع الرحالة ، فالإنسان رحال بطبيعته، تواق أبداً إلى المعرفة وارتياح المجهول » ، (الشو/بكة ، ٢٠٠٦ م : ٥) .
- إذن هي عملية أخذ، وعطاء، وعملية نقل و تزود بموروث ثقافي قد أخفي عن بعض الشعوب، أولم تكن تعهده هذه الشعوب بسبب بساطة العيش وانغلاقها على نفسها ، وعدم التواصل مع العالم الآخر الذي يمتاز بمقومات الحياة .
٤. الرحلة أدبٌ يمتاز مرتادوه بالقوة الجسدية لانهم يجوبون البلاد لفترات طويلة ، وكذلك يتطلب النباهة والذكاء وعدم الانشغال بالأمر الثانوية التي تبعده عن مبتغاه

. « أفاد أدب الرحلة بغنى موضوعاته في صرف أصحابه في غالب الأحيان عن اللهو والعبث اللفظي والتكلف في تزويق العبارة، إثارةً للتعبير السهل المؤدي للغرض لنضجه بغنى تجربة صاحبه مما يفتقده كثير من الأدباء » ، (قنديل ، ٢٠٠٢ م : ٢٤) .

إذ كان هدف الرحالة في ذلك الوقت هو التعرف على ثقافات ، وأحوال شعوب ، وغزارة العلوم ، وهو ما أعطى الباحث الدقة ، والمهارة ، والأمانة في نقل الحقائق ، والوقائع بدون زخرفة أو تصنع ، بل نقل الواقع كما هو .

٥. الرحلة هي مصدر من مصادر تدوين الأحداث التاريخية والاستفادة منها؛ « لأن تدوين الرحلات هو وتدوين الحوادث التاريخية صنوان . فإذا لم نوفق فيها بالخبر الصحيح كانت أساطير و أباطيل. بل جنائية كبرى يجتنبها المرء على الانسانية والآداب » ، (الجرجاوي ، ١٣٢٥ م : ١) . لأن الأمانة في النقل، وإعطاء الصورة المثلى للمشاهدات البصرية ، وتزيينها بإطار أدبي، هو ما شجع على ظهور هكذا أدب، وهو ما ساعد على استمراره، وإكسابه أهمية الأدبية على ماهي عليه الآن .

٦. الرحلة كانت فيما مضى سبباً للعيش والتطلع إلى الحياة. « رصد الرحلات تنوع المعالم الحضارية في مختلف الجوانب الحياتية في البلدان التي قصدها الرحالة ، وعكست صورة واضحة عن أحوال الشعوب : مآكلهم و شربهم، ولباسهم، وخصائصهم النفسية والبدنية، والعادات، والتقاليد ، وصادراتهم ، ووارداتهم ، وفنونهم المعمارية » ، (الشوايكة ، ٢٠٠٦ م : ١١) ، وهو سبب مهم سببه الاختلاط بين البلدان والتعرف فيه عن أحوالها وطرق العيش المختلفة، و التعرف على الهندسة في البناء التي نقل أغلبها من الغرب، ومواكبة هذا التطور والسير على خطاهم .

٧. الرحلات مهمة في الكشف عن الطرق والتضاريس الجغرافية وكيفية الوصول الى تلك البلدان لأغراض شتى، منها التجارة، أو أغراض أخرى . « احتاج الناس قديماً إلى معرفة الطرق والبلاد ، إما للتجارة وإما للفتوحات، فكان عليهم أن يلجأوا إلى التجار والفاحين، لجمع ما لديهم من معلومات » ، (غريب ، ١٩٦٦ م : ٢٥) ، وهذه الطرق لم يكن يعهدا في ذلك الوقت غير من اشتغل بالتجارة ، أو الجيوش

من أجل الحروب التي خاضوها في ذلك الوقت. « وإذا كانت الرحلة قد أيقظت وأنعشت وشحذت الحس الجغرافي الفطري، وطلبت منه أن يبصرها ويهدها سواء السبيل، فإن هذا الحس الجغرافي الفطري المتيقظ لمن باشر هذه الرحلة، قد واجه الرؤية الجغرافية. ومواجهة الرؤية الجغرافية على الطريق معناه أنه قد استشعر فحواها، وأدرك أبعادها، وتبين مدى تنوعها، على صعيد كل موطن، أحسن استقبال الرحلة، وأمن حضور الإنسان فيها »، (الشامي، ١٩٩٩ م: ٢٦).
 ٨. الرحلات مصدر مهم من مصادر التزود بالعلوم الدينية والتعرف على الحضارات الإسلامية، « فقد كان من بين الرحالة رجال علم ودين قامت رحلاتهم على أساس التزود بالعلم والالتقاء بالعلماء في مراكز الحضارة الإسلامية »، (نواب، ١٩٩٦ م: ١٢).

أو هي استكشافية لغرض التطور، « لقد انصرف الرحالة العرب الى تكحيل عيونهم بصور النهضة الحديثة في تلك المجتمعات، مدفوعين، غالباً بشغف البحث عن الجديد، وبالرغبة العميقة الجارفة لا في الاستكشاف فقط، من باب الفضول المعرفي، وإنما أساساً، من باب طلب العلم، واستلهاهم التجارب، ومحاولة الاخذ بمعطيات التطور الحديث، واقتفاء أثر الآخر للخروج من حالة الشلل الحضاري التي وجد العرب أنفسهم فريسة لها »، (المكناسي، ٢٠٠٣ م: ١).

وهو ما حدا ببعض الرحالة من السفر الى البلاد الاسلامية من أجل الوقوف على الدين الإسلامي و التعرف على تعاليمه السمحة، والبعض الآخر أتخذ من الحج الى البيت العتيق هدفاً للرحلة والاستكشاف والتعرف على المدن والأمصار والاختلاط بأهلها، وكسب ثقافة جديدة ينقلها الى بلده وهو ما نراه كثيراً عند زيارة مرقد الأئمة المعصومين، من توافد الناس من مختلف أصقاع الأرض بهدف الزيارة، وهو ما دفع بعضهم الى الجلوس معاً والتسامر وجذب أطراف الحديث فيما بينهم ليكشف كل منهم متاعب رحلاته و مشاقها، وكذلك الحديث عن طبيعة كل بلد، وهو ما حفز إلى الرحلات والوقوف على جمالية تلك المناظر.

« ولعل من أهم بواعث الرحلة وأعظمها شأنًا عند المسلمين تأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه واله وسلم. وقد سجل النابھون من هؤلاء الحجاج مشاهداتهم وارتسامهم وأحاسيسهم وكذا الطرق والدروب التي

مروا بها وسلوكوها والأحداث التي صادفوها في مصنفات عرفت بكتب الرحلة «، (أحمد ، ١٣) .

إذن ومن جميع ما تداولناه عن أهمية أدب الرحلة نجد قيمتها الأدبية برزت إلى الساحة الأدبية من خلال ما اشتملته الرحلة من أساليب بلاغية جعلت النص الرحلي يرتقي إلى هرم النصوص الأدبية والفنية ، وهو ما نراه جلياً وواضحاً في استخدام الاسلوب القصصي في سرد الرحلة ، لما زادها رونقاً وباءاً ، وجعلها أكثر تشويقاً، ورغبة للسامع ، وهوما ساعد على انتشارها بشكل أعم وأسرع ، مما ولد من تنافس في سرد الرحلة بأسلوب يتلذذ به السامع والقارئ .

ومن هذا المنطلق الذي من أجله جابت الرحلات الأفاق ، وعلى جميع المستويات والأهداف ، فإن الرحلة في القديم – رغم صعوباتها ومشقاتها – إلا أنها حققت الكثير من الأهداف التي وضعت لها ، بل أصبحت عادة سليمة يقوم بها أي شخص تتوفر فيه المقومات والإمكانات – بمختلف تفاصيلها – من أن يقوم برحلة ، لأسباب شخصية كانت، أو عامة هدفها الوقوف على العلوم المختلفة ، وخير مثال على ذلك، الغزوات والفتوحات التي سهلت وطورت من أدب الرحلة – حتى وإن كان في بسائط في بداياته – لترتقي به إلى أفاق العلوم الأخرى .

وما الفتوحات الإسلامية وما صاحبها من توافد العلماء إلى البلدان المفتوحة، إلا نقلاً للعلوم و المعارف وتطبيقها في بلدانهم ، وكذلك نقل العلماء والكتاب والأدباء من بلدانهم الرئيسة إلى البلدان المسيطر عليها ، وجعلهم في وظائف مرموقة لكي يطوروا أسس الدولة، وما قرأناه في كتب التاريخ ، أو الأدب العباسي من إستعمال الخلفاء العباسيين للكتاب والبارعين في صنوف المهن الأخرى في إدارة الدولة ، كما الحال من إستعانة العرب بدهاقنة الفرس في العراق ، وخراسان ، من أجل إدارة شؤون الخراج . وكذلك ما نراه من استخدام الخلفاء المسلمين للنظم الإدارية الموجودة في البلدان التي حدثت فيها الفتوحات، والاستفادة من هذه النظم وتطوير دولة الخلافة الإسلامية ، كما نرى من إستخدام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لنظام الدواوين بمختلف فروعها وصنوفه لتيسير أمور الدولة، التي كانت في بدايتها تقتصر الى النظم الادارية، والمالية، التي كانت الدول المجاورة للدولة الاسلامية تعمل بتلك النظم، وكذلك ما نراه في رحلة

أوليا جلبي التي يصف فيها النظم الإدارية، « فقد أهتم أوليا جلبي في رحلته بوصف النظام الإداري في كل مكان ذهب إليه بدقة و تفصيل وقدم لنا معلومات عن مالية كل بلد يذهب إليه »، (جلبي، ٢٠٠٦ م : ٥). لأن الدولة الإسلامية لم تكن فيها تلك النظم المتطورة، مما حدا به إلى نقله من بلاد الفرس إلى الدولة الإسلامية بعد الفتح .

ونرجع الى بداية القرن الثامن الهجري ، نرى أن العرب قد توسعت فتوحاتهم ، وشملت جميع الأرجاء، حتى أنهم في هذا القرن تمكنوا من فتح بلاد الأندلس وبلاد ما وراء النهر، فتوسعت إمبراطوريتهم وشملت مناطق شاسعة من الهند إلى المحيط الاطلسي، وكذلك شملت آسيا و جبال القوقاز وبلدان من قارة أفريقيا .

من هنا نلاحظ نشوء المدينة الإسلامية وأنها تطورت من جراء اختلاط العرب ببقية الشعوب المحررة، وسيطرتهم على منابع العلم والمعرفة في تلك البلدان ، وطوروا العلوم التي حصلوا عليها من تلك البلدان

إذن من هذا الباب نرى أن المسلمين في العصور الوسطى قد حصدوا قدم السبق في ميدان الرحلات والاكتشافات الجغرافية، كما نرى الرحالة الادريسي المتوفي ٥٦٢هـ، وهو بحد ذاته يعتبر من أعظم الرحالة الجغرافيين في زمانه في المغرب والاندلس، وقد ألف فيهما الكتب الواسعة ، « وكان لاختلاط العرب بالشعوب الأخرى أثر كبير في نشأة المدينة الإسلامية وتطورها، فملك العرب ناصية العلم و المعرفة ، وحفظوا لا وربا تراث اليونان ، وتقدمت على يدهم العلوم المختلفة »، (حسن، ٢٠١٣ م : ٩) .

إذن الرحلات بمختلف أهدافها كانت سبباً في تطور البلدان، وعاملاً أساسياً في الوقوف على حضارات ، وعلوم ، لم يكن مقدراً لها البروز والظهور لولا لم يكن هناك من ساعد على اكتشافها ، الرحلة مهمة كانت الحاجة ملحة إلى بروزها في وقت كان العالم بأمس الحاجة اليه لغرض الوقوف على طبيعة الكون ، واكتشاف بقع من المعمورة، مهدت لنشوء حضارات في مناطق مختلفة .

٦- أنواع الرحلة :

من الواضح أن لكل رحلة من الرحلات - قديماً أو حديثاً - الكثير من الدوافع أو الأسباب التي هيأت لظهورها وهذه الأسباب تختلف باختلاف غرض الرحلة ، وامتازت هذه الرحلات بتنوعها وشموليتها، لذا نراها اشتملت على جميع العلوم، من

طب، و هندسة، وجغرافية، وتاريخ، وأشكال الحياة وأنماطها ، وكذلك امتازت بدقة الوصف ودقة الملاحظة ، وكذلك نراها اشتملت على النصيح والإرشاد، وكما أسلفنا في بداية الحديث عن أدب الرحلة و تحدثنا عن شغف الانسان بالترحال ولأسباب كانت معيشية أو اقتصادية بحسب هدف الرحالة ، أن كانت هذه الأسباب خاصة وعامة، وهذه الأسباب مجتمعة زادت من قيمة أدب الرحلة الأدبية و العلمية لما احتوته من مشاهدات وأحداثٍ مرت من أمام أعين الرحالة فدونها في كتبهم ، ومن أهم هذه الدوافع هي :

أ-الرحلة العلمية .

وكما هو واضح من أسمها أن الهدف من هذه الرحلات هو طلب العلم من منابعه الرئيسة من بطون القبائل العربية التي تميزت بالفصاحة والبلاغة وقول الشعر ، وأن الدين الاسلامي حث على طلب العلم والتعلم ولو كان في غير بلد . « إن من الفقهاء والعلماء من كان يقطع القفار ويعبر الأنهار طلباً لحديث نبوي سمع به، أو لمجرد التحقق من كلمة فيه »، (تنديل: ٢٠٠٢م، ١٩). أو كما يقول الشافعي :-

تَغْرَبُ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَى وَسَافِرٌ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفْرَجُ هَمَّهُ ، وَكَتَسَابُ مَعِيشَةٍ وَعِلْمٌ ، وَآدَابٌ ، وَصُحْبَةٌ مَاجِدِ

(الشافعي، ١٩١٥م ٧٤).

ويبدو مما تقدم أن من سبقنا كان يعنى بالدقة والأمانة العلمية ، وأنهم عانوا في سبيل العلم والمعرفة ، وتحملوا مشاق الطريق حتى يوصلوا لنا هذا النتاج العلمي الزاخر بالكثير من العلوم .

ب- الرحلة الدينية .

ومن خلال الاسم تتم لنا المعرفة وهي رحلات دينية صرفة والغرض منها هو الدين الاسلامي وتعاليمه ، كالحج وزيارة قبر الرسول (صل الله عليه واله وسلم)، « كانت الرحلة عنصراً قوياً في حياة المجتمع الاسلامي في عصوره الزاهرة ، فقد رحل الناس لزيارة مهبط الوحي ، ولقوا في سبيل ذلك الكثير من صعوبات السفر التي تحملوها راضين مسرورين »، (زيادة ، ٢٠٠٢ م : ١٣)، أو رحلات لنشر الدين الاسلامي في

أصقاع المعمورة ، وكذلك رحلات الوفود أثناء الدعوة الإسلامية و بعدها للتعرف على الدين الاسلامي ، أو رحلات التبشير بالدين الاسلامي الجديد ، ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ ، (التوبة ، ١٢٢) . أو لغرض تعلم قواعد وأصول الدين الحنيف ، « لأن تغدو تتعلم بابا من العلم ، خير لك من أن تُصلي مائة ركعة » ، (النووي ، ٤٤٥) و وهوما ثبت العقيدة لدى من كان يبحث عن الوجود بمعرفة الدين ، أو رحلات في طلب الحديث الشريف ، والتحقق من صحة سنده كما نراها عند من سبقنا من العلماء الأفاضل رحمهم الله .

ت- الرحلة السياسية .

من المعلوم ان لكل رحلة هدف معين تؤدي الغرض من خلاله ، إلا أنه في بعض الاحيان وبغض النظر عن الهدف الرئيس ، « باتت الرحلة السياسية تضحية وطنية وهما وطنيا أيضا مقيما في نفس الرحالة يشغله حتى عن همومه الخاصة ومتاعبه الشخصية » ، (قنية ، ١٩٩٢م : ٣٣٠) ، نجد أن بعض الرحلات كان لها هدف ثانوي وسري ، « التي ترجع اسبابها إلى قضايا سياسية بين البلدين » ، (نصار ، ١٩٩١م : ١٨) ، ألا وهو التعرف على طبيعة البلاد وأحوالها وتتبع مراكزها العلمية وطرقها الرئيسة وهوما مهد فيما بعد للكثير من الغزوات والفتوحات؛ لأن غالبية الرحلات كانت في بواطنها تجسسية ، هدفها استكشاف البلدان ومشاهدة طبيعة طرقها وأساليب عيشها ومناطق القوة والضعف ، من أجل استغلالها فيما بعد .

ث- الرحلة الاقتصادية أو التجارية .

ويكون الغرض من هكذا رحلات هي التجارة ، أو فتح أسواق جديدة بين البلدان أو تبادل لسلع لم تكن موجودة في تلك البلاد ، « فالعالم العربي بحكم توسط موقعه بين قارات العالم القديم كان مركزا لالتقاء الطرق التجارية بين هذه القارات ، كما أن انفصال الماء وتداخله في اليابسة في المنطقة العربية جعلتها تحتل موقعا تجاريا هاما في تطور الحضارة العربية في العصور الوسطى ، وجسرا تعبر منه الثقافة و الفكر وليس فقط لنقل البضائع والسلع » ، (الشوابكة ، ٢٠٠٦ م : ٤٦) ، وهوما دعى البعض الى السفر بعيداً و تحمل مشاق الطرق ومخاطرها من أجل تأمين لقمة العيش هرباً من غلاء الأسعار في بلدانهم ، وهوما لاحظناه في بداية الاسلام من رحلات قريش في الشتاء و الصيف

لغرض التجارة ، ونقل البضائع من الدول القريبة إلى مكة ، وهو ما شجع إلى انتشار القوافل التجارية و ازدهار التجارة في ذلك الوقت ، وأيضاً كانت الرحلات التجارية هي جناح الفكر والمعرفة لانتشارها عن طريقها ، وليس فقط بيع وشراء السلع .

ج- الرحلة السياحية .

وهي الرحلات التي يقوم بها الرحالة لغرض الترويح عن النفس ، أو هي هدف للاطلاع على الغرائب الموجودة في البلدان ، أو معرفة ومشاهدة الآثار المشهورة في بعض البلدان ، أو هي الابتعاد عن كل ما هو مألوف ، ومشاهدة كل ما هو جديد من طبيعة و بشر ، « كان هدف الرحلات البحث عن الحرية ، والتطلع إلى ما وراء الحيز المكاني ، حيث المهم هو السفر لا البلد الذي نرحل إليه ، ، وامتطاء اجنحة الرياح حباً في المغامرة والترويح عن النفس » ، (الشوabكة ، ٢٠٠٦م : ٣٠) ، او هي « تصدر عن رغبة في الطواف والسفر لذاته وحب التنقل و تغيير الأجواء والمناظر وتجديد الدماء بالمشاهدة والمغامرة ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة والبشر » ، (غريب ، ١٩٧٩م : ٢٥) ، وهو ما نراه من جذب المناطق الأثرية في بلاد العالم المختلفة للكثير من السياح ، وهو ما شجع على دراسة تاريخ تلك المدن والتنقيب عن آثارها والبحث عن خفاياها ، وهو ما أعطى صورة واضحة عن طبيعة حياة تلك الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم ، ومأكلهم وملبسهم ، وطبيعة عيشهم .

٧- الرحلة في الأدب العربي :

عرف العرب قديماً الرحلة وكما تحدثنا في بداية البحث ، وأسهموا فيها إسهاماً كبيراً ، من خلال سفرهم الدائم ، وتنقلهم المتواصل ، وحروبهم المستمرة من أجل فتح البلاد ونشر الدين الاسلامي ، « أن من أهم الأسباب و الدوافع التي مهدت للرحلة والرحالة الطريق لارتداد العالم ، هو اتساع رقعة الدولة الإسلامية التي امتدت من الصين شرقاً وحتى المحيط الاطلسي غرباً فلقد عني المسلمون عناية خاصة ، بعد الفتوح العربية ، بالبلاد التي خضعت لهم وأصبحت جزءاً من دولتهم ، فدونوا لها الدواوين وعبدوا إليها الطرق ونظموا لها البريد » ، (أحمد : ٧ ، ١) .

فلديهم رحلاتهم الخاصة إلى بلاد الشام واليمن والعراق وغيرها من البلدان القريبة ، وساعد انتشار الإسلام على ازدهار الرحلة في البلدان القريبة ثم تطور الامر

الى البلدان الابدع، ثم تطور الامر سريعاً فنجد في القرون التي تلت ظهور الإسلام انها أصبحت مرحلة تجميعية - جمع ما سرده الرحالين - وهذا الجمع حفظ سرديات الرحالة من الضياع ، كما في القرن الثالث الهجري ، الذي شهد رحلات خالصة بالعلم والمعرفة، أمثال : ابن عمر عبد الله بن رشيد التشربسي، والعبدي ، « كثر التأليف في المسالك والممالك فألف المصنفون في الأقاليم والتقاسيم ، وصوروا ما عليها من مدن وجبال وأنهار » ، (ابن فضلان ، ١٩٥٩ م : ١٤) .

أما في الاسلام فازدهرت الرحلات نوعاً ما بسبب الفتوحات ، وما نشره الرحالة من مشاهدات لتلك البلدان ، وما صاحب تلك الفتوحات والمشاهدات أسر عقول المسلمين في وقتها، لما لاحظوه من تطور ميداني على جميع الأصعدة ، فبادروا إلى نقل ما وقعت عليه أعينهم من فنون، و آداب، و هندسة الى بلدهم .

« وقد اهتم العرب بالرحلات، كما اهتموا بوصف البلاد التي فتحوها ، ودعاهم الى ذلك للاستخبار عن الأمم السابقة ونقل علومهم و معارفهم الى العربية ، كما إن الدول كانت تحتاج لمعرفة المسالك والبلاد والمدن و اوصافها ... لحسن الادارة السياسية والمالية » ، (فرشوخ ، ١٩٩٦ م : ١٤٠) .

وعندما نجول بنظرنا إلى العصر الحديث، في القرن العشرين وهو عصر النهضة الأدبية والتطور السريع في جميع مجالات العلوم المختلفة ، نرى أن مسار الرحلات يتغير من المشرق إلى أوروبا ، بسبب التطور الذي وصلت اليه الدول الأوروبية بعد الثورة الصناعية هناك ، بحيث أننا نرى أن جميع الرحلات قديماً كانت تشد إليها الرحال في العراق ومصر والشام و الحجاز، فنرى بعد الثورة الصناعية تحولت وجهة الرحالة الى فرنسا وانكلترا وغيرها من الدول الغربية . حيث كانت تمثل النبع العذب للثقافة الأدبية والعلمية التي استمد منه العرب الكثير، وأرتوى الكثير من المفكرين و الأدباء من هذا المنهل الصافي علومهم وثقافتهم ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر : طه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، وأمين الريحاني ، ومحمد الخضر حسين ، وحسين فوزي ، وغيرهم الكثير ، وكذلك لم تكن كل الرحلات علمية، فالظاهر يختلف عن الباطن أي ما تخبئه النفوس، فقد شملت أغراضاً سياسية وسياحية واقتصادية. « فلقد دعمت الرحلة، برية كانت أم بحرية، وبطريق مباشر أم غير مباشر، النشاط الاستعماري الذي

بلغ أوجه في القرن التاسع عشر حين اتسعت القاعدة الاقتصادية في أوربا ، « ، (فهميم : ١٩٩٠ ، ٣٢) .

وعندما نمضي إلى الامام نجد تنوع في الاتجاهات ، ونجد هنا أن الرحالة قد واجهوا الكثير من المخاطر والصعوبات التي كادت حتى أن تودي بحياتهم ، فهم في صراع مستمر مع قوى الطبيعة أو المرض الذي يلم بهم بين الحين والآخر من جراء ترحالهم ، وهو ما نجده عند ابن بطوطة وما أصابته من حمى في السفر ، « ورحلنا إلى أن وصلنا مدينة بونة ونزلنا بداخلها ، وأقمنا بها أياماً ، ثم تركنا بها ما كان في صحبتنا من التجار لأجل الخوف في الطريق ، وتجردنا للسير ، وواصلنا الجد ، وأصابني الحمى ، فكنت أشد نفسي بعمامة فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف ، ولا يمكنني النزول من الخوف ، إلى أن وصلنا الى مدينة تونس » ، (الريان : ١٩١٧م ، ٣٥) .

وبعضهم لاقى من أهوال السفر ما لا يحمد عقباه وتحمل من أهوال البحار ما تحمل في سبيل أن يقوم برحلته وينقل ما شاهده وكذلك نقل العلوم والثقافات المختلفة إلى بلده الأم ، ومن بين هؤلاء ابن جبير الذي كان عالماً يشار إليه بالبنان في الحديث والفقه ، وهو بهذا يعتبر من علماء الأندلس المجيدين ، وكان أديباً بارعاً ، وكذلك شاعراً مفوهاً ، إذ نراه يتحدث عما لا قاه من أهوال سفره من تلاطم الأمواج وتكسر الأشعة ولم يبق لهم إلا التوجه إلى الله و رفع اليدين بالدعاء لمساعدتهم ، « وهو يوم الاربعاء التاسع عشر من ذي القعدة ، بما هو أشد هولاً وأعظم كرباً ، وزاد البحر احتياجاً و أربدت الأفاق سواداً ، واستشرت الرياح والمطر عصوفاً ، حتى لم يثبت معها شراع ، فلجئ الى استعمال الشرع الصغار . فأخذت الرياح أحدها ومزقته وكسرت الخشبة ، التي ترتبط الشرع فيها ، وهي المعروفة عندهم بالقرية . فحينئذ تمكن اليأس من النفوس وارتفعت أيدي المسلمين بالدعاء الى الله عز وجل » ، (ابن جبير ، ١٠) .

وهي من أعظم المواقف التي يمر بها الإنسان ، والتي تجعله فاقداً للأمل بالنجاة وسط تلك الأهوال التي واجهته في عرض البحر الهائج المتلاطم ، « ورحلة السفر لا تخلو من مصاعب .. لا بد من تخطيها في صبر ولا يعين على هذا الصبر إلا شعور بالحبة التي هي مطايا المسافرين » ، (عراق ، ١٩١٧ م : ٤٥) .

إذن الرحالة منذ القدم واجهوا العديد من المعوقات التي اعترضت طريقهم ، وتحملوا ما تحملوا من أجل الوصول إلى غايتهم الرئيسة التي وطنوا أنفسهم من أجلها .

٨- ازدهار الرحلات في عصر النهضة :

شهدت الفترة المنصرمة - القرنين السابقين - تطوراً واضحاً و ملموساً في ازدهار أدب الرحلة ، وتعتبر فترة الغزو الفرنسي على مصر - بما تحمله من مآسي وآلم - هي الفترة الذهبية في عصر التطور الفكري والأدبي . « ولعل حملة نابليون على مصر، بكل تداعياتها العسكرية والفكرية في ثقافتنا العربية ، هي النموذج الأتم لذلك . فقد دخلت المطبعة العربية الى مصر مقطورة وراء عربة المدفع الفرنسي لتؤسس للظاهرة الاستعمارية بوجهيها العسكري والفكري » ، (الأندلسي، ٢٠٠٣ م: ٧) .

إذ شجعت على قيام وظهور البعثات العلمية - وهو أيضاً نوع من أنواع الرحلات - إلى مختلف البلاد الاوربية التي ساعدت هذه الرحلات على نقل علوم البلاد الغربية إلى الشرق ، وشهدت هذه الفترة بمثابة الشرارة الأولى لتوقد شعلة التطور العلمي ، وتطورت الأبحاث العلمية ، ونحن قرأنا رحلة العالم رفاعه الطهطاوي الى فرنسا مع البعثات العلمية التي أرسلها الوالي محمد علي عام (١٨٢٤)، وهو هنا يصور الحياة السياسية والثقافية والمادية، وهي تصور لنا كيف كان الشعب الفرنسي ينظر الى الحياة الفرنسية في القرن الماضي . (ينظر ، الرحلات ، شوقي ضيف : ٦٨) . فهنا نرى أن تعمق الاتصال في هذه المرحلة الحديثة وازدياد الوعي والفكر، أكثر مما نراه في القرون السابقة، ومن رواد عصر النهضة العلمية و الأدبية هم كلاً من : أحمد فارس الشدياق، وشهاب الدين الألوسي ، ورفاعة الطهطاوي ، وسليمان البستاني ، وعبد الله فكري . من هنا نجد أن البلاد الغربية كانت قد وصلت مرحلة متقدمة من التطور الحياتي ، ونقصد به هنا ، أنها تطورت بكل ما يتعلق بأمور الحياة ، وازدهارها وتقدمها ، « ولا ينكر مصنف أن بلاد الإفرنج الآن في غاية البراعة في العلوم الحكيمة وأعلامها في التبحر في ذلك بلاد الإنكليز، والفرنسيين ، والنمسا ، فإن حكماءها فاقوا الحكماء المتقدمين ، كأرسطاطاليس ، وأفلاطون ، وبقراط ، وأمثالهم ، وأتقنوا الرياضيات، والطبيعات والإلهيات، وما وراء الطبيعات أشد اتقان ، وفلسفتهم أخلص من فلسفة المتقدمين، لما أنهم يقيمون الأدلة على وجود الله تعالى ، وبقاء الأرواح ، والثواب والعقاب » ، (الطهطاوي، ٢٠١٢ م: ٣٠) .

ومن خلال كلام هذا العالم الجليل نرى مدى العلوم والمعارف التي توصلت إليها بلاد الغرب في مختلف المجالات ، والسبب أنهم أولوا العلم الاهتمام الكبير ، وشجعوا عليه ، وأقاموا الأدلة الصحيحة، التي لا نجدها عند علماء العصور التي تلتها الى يومنا هذا ، وكذلك نرى الانبهار الكبير و اللافت للنظر من قبل الطهطاوي لما وصلت اليه الحضارة الغربية من تقدم .

واطلع العالم العربي في وقتها على علوم ومعارف لم يكن يعهدها في زمانه، واهتم العرب كذلك بالأبحاث اللغوية في عصر النهضة والتطور، ونجد على سبيل المثال الأديب أحمد فارس الشدياق الذي يعتبر من أوائل الذين أهتموا بالبحث اللغوي وله الكثير من الكتب التي تصف وتخرنا بتطوره في مجال الأبحاث اللغوية ومنها نجد في كتابه كشف المخبأ عن أحوال أوربا يصف فيه العلوم والآداب والأخلاق في بلاد الإنجليز، « فصل في سياحته في بلاد الإنجليز وغيرها من الأقطار الأوربية، ووصف عادات الإنجليز وآدابهم ، وأخلاقهم ، وتاريخ تمدنهم وسر تقدمهم بأسلوب شائق »، (الدسوقي ، ١٩٧٣ م : ١٠١) .

وكذلك نجد العالم الضليع ، والأديب الأريب، والمحقق المجيد، سليمان البستاني ، الذي له رحلات مشهورة جمعها في كتابه دائرة المعارف ، التي تمثل موسوعة ضخمة لأعماله . « ثم وفد إلى بيروت واتصل بدعاة المذهب الإنجيلي من الأمريكان فدرس على بعض أساتذتهم الانجليزية والعبرية واليونانية وبعض العلوم الحديثة ، ثم دخل في نخلتهم ودعا بدعوتهم وساعدهم على ترجمة التوراة »، (الزيات ، ١٩٧٤) .

ومن هنا فإننا نرى مدى العلم الوفير، والفيض الغزير، الذي وصل إلى البلاد العربية من تطور هائل وسريع من العلوم والمعارف، أدت إلى النهوض بواقعه البسيط إلى السير نحو قمة الهرم العلمي والمعرفي .

ف نجد ازدياد الاتصال الفكري وتعميق الآثار العلمية وازدياد اليقظة الفكرية ، ونضج المعارف و العلوم ، ونلاحظ هنا زيادة منقطعة النظير للرحلات إلى البلاد الاوربية، ونجد هنا أن الرحلات في جملتها كانت علمية، الغرض منها كسب علوم وآداب لم يكن للعرب نصيب فيها، فزادت المعلومات ، وزخرت المكتبات بأثار جمّة، ونشطت الحركة العلمية في هذا القرن نشاطاً واسعاً .

٩- أعلام أدب الرحلة عند العرب :

كما سبق القول في بداية الفصل أن الرحلة قديمة منذ بدأ الخليفة ، وبرع فيها المسلمون في مختلف العلوم خلال القرنين الهجريين الرابع والخامس ، والذي مهد لهذا الأدب العريق هو علم الجغرافيا ، الذي أولوه اهتماماً خاصاً في رحلاتهم ؛ لأنه الباب الفاصل بينهم وبين العلم الخارجي ، ويعود ذلك إلى ما ورثه العرب من علوم قديمة ، شرقية ، وغربية ، وبهذا نجد الإصرار والعزيمة عندهم في سبيل اكتشاف الآخر ، وكانت رحلاتهم مميزة تختلف عن باقي الرحالة الغربيين ، لأنهم راهنوا على أن تظهر كتبهم بطابع فريد يختلف عن ثقافة الغرب ، ومن هنا نلاحظ أن في القرنين المذكورين سابقاً نجد ازدهار وتطور ورفعة الأدب الجغرافي ، وهو بهذا يكون له السبق ، والصدارة في تشكيل أدب الرحلات ، وكما بينا كذلك أن للرحلة أهداف وخصائص وأنواع بحسب طبيعة المرتحل وأغراض الرحلة ، ولأدب الرحلة عشاقه ورواده الذين برعوا فيه ، فمنذ القدم هبّ الرحالة باختلاف بلدانهم ، واختلاف أغراضهم المنشودة للترحال بين البلدان ، وفتح هذا الباب الذي يخفى خلفه الكثير من الآثار الأدبية والعلمية والسياسية والجغرافية والاقتصادية وغيرها الكثير من الأغراض ، فأدب الرحلة كان بمثابة المستكشف لكافة العلوم بمختلف أنواعها وأهدافها ، وهو من هيا الأسباب لظهورها ، وبهذا يرجع الفضل الكبير لأدب الرحلة باكتشاف المخفي من العالم . وفي القرون المنصرمة سعى الكثير من العلماء بمختلف بلدانهم للخوض في هذا الأدب الفريد من نوعه وحديث النشأة في وقته ، للاطلاع على العالم ، واكتشاف طرقه ، وبيئته ، ونقاط القوة والضعف لديه ، وعلى الأغلب أن جميع الرحلات باختلاف أهدافها كانت سياسية ، وكما وضحنا في ما سبق من الحديث . ولأدب الرحلات أعلامه الذين أسسوا لظهوره ، وسنستعرض حياة عدد منهم ، من كان له السبق في ازدهار هذا الفن الأدبي ، وبلوغه إلى ازدهاره الفكري .

أ-المسعودي . هو الرحالة أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، المتوفي سنة (٣٤٥ هـ) ، من أقدم الرحالة الجغرافيين ، وأوسعهم علماً ، وأشهرهم رحلات ، وأعظمهم معرفة ، وهو بهذا يعتبر صاحب ثقافة متنوعة في شتى مجال العلوم ، ولم يختص فقط بعلم الجغرافيا والتاريخ ، اللذان كانا هما ، بل شمل الكثير من العلوم ، وله من المؤلفات الشيء الكثير ، لكن بسبب حجم تلك المؤلفات وضخامتها ، حال

دون وصولها إلينا ، وضاعت واندرثت في سابق الزمان ، ولم ندرك من مشواره الطويل سوى كتاب واحد وهو (مروج الذهب و معادن الجواهر) ، ومن محاسن الصدف ، والإلهام ، أنه جعل كتابه هذا شامل لكل من السياسة والتاريخ و الجغرافية ، و بعض العلوم الأخرى ، حتى ذاع صيته في زمانه ، بسبب شهرة رحلاته ، ودقة معلوماتها ، فهو لم يكن يدون غير الدقيق والنفيس من العلوم التي اطلع عليها ، « وكان أسلوب الثقافة الذي درج عليه علماء الحديث في زمانه يتطلب منهم الرحلة إلى أهم حواضر الإسلام طلباً للحديث والعلم ، فلم يقنع المسعودي باقتفاء أثرهم ، بل دفعه تطلعه العلمي إلى تجاوز البلدان الإسلامية والتجوال فيما وراءها بحثاً عن أخبارها وجمعاً لمعارفها » ، (بروكلمان ، ١٩٩١ م : ٥٦) . لذلك فقد نزهه الكثير من التاريخيين ، وأشادوا بأمانته ، ودقته ، وملاحظته ، وأسلوبه المتميز في نقل ، ووصف الأماكن . من كل ما سبق نراه من أقدم الرحالة وأعظمهم دقة وملاحظة في نقل الأحداث .

ب- ابن فضلان .

وهو الرحالة أحمد بن عباس بن رشيد بن حماد البغدادي ، المولود في بغداد عام (٨٧٧ م) ، والمتوفي عام (٩٦٠ م) ، وهو من علماء القرن العاشر الميلادي ، من الطلائعيين الجغرافيين الرحليين ، وهو الرحالة الوحيد من بين جميع الرحالين الذي وصف بلاد الروس وصفاً دقيقاً ، حتى أن الروس أنفسهم رجعوا إلى رحلته وترجموها . « فهي تصف بلاد الروس و البلغار والأترك في القرن العاشر للميلاد ، وصفاً لا يكاد يقع إلا . في هذا المصدر ، و الروس أنفسهم عادوا إليه وقرؤوه ودرسوه ونشروا منه وترجموه منذ مائة عام ، وجعلوه من مصادرهم الثمينة ، كمرجع أساسي لا غنى عنه » ، (بن حماد ، ١٩٥٩ م : ١) .

من هذا نرى مدى الدقة والملاحظة التي اهتم بها القدماء من الرحالة في الوصف ، الذي جعلها إلى الآن محط اهتمام ودراسة رغم البعد الزمني الكبير على تأليفها . وهو دليل قوي يبين فضل العرب على غيرهم في اكتشاف بلدانهم ، واتخاذ مادتهم مصدراً مهماً ومرجعاً من مراجع التاريخ لديهم . وهو بهذا له قدم سبق بالكتابة عن الروس

والتعريف بهم ، وهو بهذا يسجل الجوانب المؤثرة في مشاهداته ، من خلق وخليقة ، وأطر رحلته بأسلوب سلس ، ودقيق الألفاظ . وهي بذلك تبقى رحلته شاهداً على وصول الحضارة الإسلامية إلى بلاد الصقالية منذ القرن التاسع للميلاد .

وهنا نلاحظ أن الباحثين قد ثمنوا القيمة الأدبية والعلمية للرحلة ، لما تتضمنه من أسلوب قصصي ، و لغة جميلة ، ودقة وصف ، وهو تعجب نادر من باحثين لرحلة يعتبر فقيهاً ومبشراً ، إعتاد الأسلوب القضائي الصعب في سرد رحلاته، وأحاديثه .

ت- ابن بطوطة .

هو الرحالة الشهير شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي الشهير بابن بطوطة، المولود بمدينة طنجة بالمغرب الأقصى سنة (١٣٠٤ م)، والمتوفي سنة (١٣٧٨ م)، ولد لأسرة ضليعة بالمجد والرفعة العلمية، وكانت أولى رحلاته للحج ، ومن خلال سفره الأول وهذا جعله أصحابه في رحلتهم قاضياً عليهم ، بسبب ما لاحظوه عليه من أخلاق رفيعة ، و علم جليل ، ومعارف جمّة، وهو بهذا يعتبر من أشهر الرحالة المسلمين على سائر العصور، و رحلاته من أشهر الرحلات ومن أوسعها، وبلغت شهرته أرجاء المعمورة ، بسبب طول مدتها، وتوسعها، فهو طاف جميع البلدان ، وفصل في قرايطيسه معالمها ، صغيرها وكبيرها، « وقد ولد لأسرة تولى كثير من أفرادها القضاء، ولذلك تعهده والداه بالرعاية، وعملاً على تعليمه، لينتهي لتولي القضاء كما تولاه غيره من أفراد أسرته » ، (العریان ، ١٩٨٧ م : ١٤) .

ونراه يمضي على ما مضى عليه أسلافه ويتسلم القضاء، لما أكتسبه من علوم، وآداب، أهلته لهذا المنصب الرفيع. « نستخلص من وقائع رحلته أنه كان على قدر صالح من الثقافة الدينية أهله لمنصب القضاء » ، (خلف، ١٩٩٤ م : ١٥) . ومن هذا نجد يتمتع بثقافة واسعة، أهلته لتسليم مقاليد المناصب الرفيعة في الدولة .

ث- ابن حوقل .

هو الرحالة أبو القاسم محمد البغدادي ، المشهور بابن حوقل المتوفي سنة (٣٩٧ هـ) ، أحد العلماء والتجار المسلمين ، ويعد من أبرز الرحالة في القرن الرابع الهجري ، وله رحلات واسعة ومشهورة، وكان مدوناً لرحلاته، ويكرس جل وقته لذلك العمل ، وشملت رحلاته أجزاء واسعة من أرجاء الكرة الأرضية ، وهو بذلك يسجل وصفاً دقيقاً لكل ما شاهده ، ومن أفضل أعماله الرحلية هو كتاب صورة الأرض، الذي

ضمنه الوصف الدقيق ، والملاحظة الهامة ، لكل ما وقعت عليه عيناه من البلدان ، « حتى أنه وصل بلاد البلغار من أعالي الفولغا . وقد قرأ كثيراً واتصل كثيراً ، فجاء كتابه صورة الارض يجمع بين هذه الاختبارات كلها » ، (زيادة ، ٢٠٠٢ م : ٢٥) . أو هو الذي تحدث فيه الرحالة عن نفسه فيقول ، « وقد حررت ذكر المسافات و استوفيت صور المدن و سائر ما وجب ذكره » ، (النصبي ، ١٩٩٢ م : ١٥) ، ومن هذا نجد مدى التوسع الذي وصله الرحالة في القدم ، مستخدمين أبسط وسائل النقل ، يجوبون البلدان والفيافي من أجل اكتشاف البعيد من العالم .

ج- يعقوبي .

هو الرحالة أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ، ينتمي لعائلة لها صلة بدار الخلافة ، ويعد يعقوبي من الرحالين الجغرافيين ، والمؤرخين ، له العديد من الرحلات التي جاب بها العالم ليكتشف غموضه ، ويستقي من عذب علومه ، وله مؤلفات عديدة ذكرت فيها تفاصيل رحلته ، « وكتاب البلدان ، من أقيم الكتب التي صنفت في موضوعه ، ذكر فيه الأسفار التي قام بها والوظائف التي تقلدها في الدولة الطاهرية بخراسان والدولة الطولونية بمصر والشام » ، (أحمد ، ٧١) . وما يذكر به يعقوبي ، أسلوبه المتميز في سرد رحلاته ، وهو بهذا يختلف عن سبقوه في السرد ، فهو ينقي كل كلمة يريد كتابتها تنقية ويمحصها تمحيصاً دقيقاً ، لتجد أثرها ووقعها في نفوس قراءها .

ج- المقدسي .

وهو الرحالة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي ، المولود في القدس عام ٣٦٦هـ ، ولُقِبَ بعدة ألقاب ، كالفلسطيني والمغربي والخراساني ، وغيرها الكثير ، بسبب كثرة البلدان التي ارتحل ، إليها وكل بلد يسميه بتسميه ، وله كتاب مشهور ومعروف ، ألا وهو (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) ، الذي اعتمد فيه على ذوي العقول الراجحة في تأليفه ، « اعلم اني اسست هذا الكتاب على قواعد محكمة واسندته بدعائم قوية وتحررت جهدي الصواب ، واستعنت بفهم ، اولى الالباب » ، (المقدسي : ٣) .

فهو رحالة - كمن سبقه - امتاز بالفصاحة ، والنباهة ، والثقافة الواسعة ، وأراد لكتابه أن يخرج كاملاً متكاملًا ، بعيداً عن الهفوات ، مهما صغرت ، وأراد أن يكون مفهوماً ومقبولاً ، وإذا فائدة لمن أراد التبحر في أحوال الدول ، وطبائعها .

خ- الإدريسي .

هو الرحالة الشهير، وصاحب العلم الوفير، والبدر المنير، أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الشريف الإدريسي ، المولود في المغرب سنة (١١٠٠م)، والمتوفي عام (١١٦٦م) ، وهو من أقدم الرحالة العرب ويعود إليه الفضل في تأسيس علم الجغرافيا ، لاشتهاره بالتاريخ والجغرافيا ، وله شهرة واسعة في رسم خرائط البلدان التي زارها، وكذلك له شهرة قيمة في باقي العلوم كالطب والأدب وقول الشعر والفلسفة وعلم النجوم والرياضيات، وهو بهذا يعتبر من أحد أكابر الرحالين الجغرافيين الموجودين في زمانه، فهو دقيق الملاحظة في رسوماته للكرة الأرضية، وأنه تحرى الدقة في الرسم حتى أتقنها إتقاناً منقطع النظير، وكتابه نزهة المشتاق، وصف دقيق لكل البلاد، « إن كتاب الإدريسي لا يمكن أن يوازن بأي كتاب جغرافي سابق له، وإن ثمة أجزاء من المعمورة ، لا يزال هذا الكتاب دليل المؤرخ والجغرافي في الأمور المتصلة بها » ، (أحمد ، ١٦٤) . وهذا دليل على دقة ملاحظات الإدريسي ، وقيمتها العلمية، التي مازالت إلى الآن مرجعاً للكثير من الجغرافيين .

د- ابن خلدون .

هو الرحالة الشهير والعالم الجليل عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، أو هو « عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون » ، (الجراح ، ٢٠٠٤م : ٢٧) المولود في عام (٧٣٢هـ) في تونس، والمتوفي عام (٨٠٨ هـ) في مصر، وهو يعتبر المؤسس الأول لعلم الاجتماع ، وكذلك المؤسس الأول لفلسفة التاريخ ، والتي تعتبر من أعظم الأعمال التي ألفها في زمانه، كان من علماء عصره الذين يشار إليهم بالبنان ، لما يتمتع به من ثقافة واسعة، وعلم غزير في مجالات العلوم المختلفة . « اعلم أن فن التاريخ فن غزير المذهب جم الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم » ، (ابن خلدون ، ٢٠٠١م : ١٣) . وهو من الرحالة القلائل الذين كتبوا سيرة حياتهم، حتى قبل وفاته، ونجد حياته تختلف اختلافاً كبيراً عما عاصروه في زمانه، فنراه يتقلب في دور

الدولة ومؤسساتها ويتسلم المناصب الرفيعة، فجاءت كتبه غنية بما مارسه في حياته من مهام جاءت نتيجتها في إغناء الكتب بمعلومات غنية أغنت الكتب بمعلومات ثرية عكست تلك الشخصية الفذة التي حملت من المعلومات الكثير بما أغنى التراث العربي.

الخاتمة :

الرحلة فن قائم بذاته يحتوي على الكثير من المعلومات التي تهتم المؤرخ والاجتماعي والسياسي والاقتصادي وغيرهم ، فهي رصدت لنا التنوع الحضاري في مختلف جوانب الحياة في تلك البلدان ، حيث اشتملت الرحلات على سرد القصص التي شاهدها الرحالة من طبيعة وما يسمعه الرحالة من أخبار ، فهو يساهم في تعزيز الثقافة من خلال معرفة الاخر من البلدان المجاورة ، وهي بذلك ساهمت في اكتشاف الحضارات من خلال رحلات الرحالين العرب وغيرهم ، وكذلك امتيازها بالشمولية في توظيف الأهداف والأشكال الأدبية من خلال تنوعها فهي تختلف في مهماتها كما سبق القول اليه ، ولاحظنا من تفران في الرحلة من الرحالين العراقيين وغيرهم في تأديتهم مهمتهم السامية للأجيال القادمة لإسهام كتاباتهم في نقلها الكثير من الصور والمشاهد الجميلة لكثير من البلدان وطبيعتها الجغرافية ، كون رحلاتهم كانت قائمة على المشاهدة لا على السمع ، وهي بذلك رجحت كفة المشاهدات وما بصرتة على ما سمعت به ، فمن خلال دراستي فقد توصلت إلى النتائج التالية :-

1. يمتاز أدب الرحلة باحتوائه على مجموعة من الأحداث التي ساهمت في نقل الصورة التاريخية للقارئ من خلال وصف طبيعة المناطق التي زارها الرحالة.
2. اعتبار الرحلات مصدراً مهماً وفريداً من نوعه للكثير من النصوص الأدبية ، لان البعض من الرحالة كانت رحلاتهم تشتمل على الكثير من النصوص الأدبية التي زادت من متعة قراءتها ، وابرازها اثراً شيقاً في نفوس من طالعها .
3. نرى أن الرحلات قد لعبت دوراً بارزاً ومهماً في تراجم الدول واعلامها من خلال سفر الرحالة إلى تلك البلاد والاختلاط بأهلها ، ودراسة حياتهم عن قرب ، وفهم حياتهم بكافة مجالاتها .
4. من خلال دراستنا لاحظنا أن الرحالة العرب في جميع الدول العربية ابدوا اعتزازهم بدينهم وحضارتهم الإسلامية من خلال رحلات الحج وزيارة الاماكن المقدسة ،

والعكوف على نشر هذه الثقافة في البلدان الاخرى التي يزورها الرحالة اثناء ارتحالهم .

٥. تأثير الرحلة في الأدب العربي ، كونها تُعدُّ مصدراً من مصادر التاريخ الأدبي والتاريخ الجغرافي للبلد ، فهي ساهمت بشكل واضح في اكتشاف الآثار الادبية للبلد من خلال تدوين الرحالة لرحلاتهم بأسلوب أدبي متميز .

٦. رصد الرحلات من خلال تطواف الرحالة إلى تنوع المعالم الحضارية في مختلف جوانب الحياة في البلاد التي أرتحل إليها الرحالة والاستفادة من ذلك التنوع بنقله إلى بلادهم .

٧. اكتشاف وفهم الاخر من العالم المحيط به والانفتاح عليه .

٨. ساهمت الرحلات في تعزيز الجانب الثقافي فيما بين الشعوب من خلال اقامة المجالس العلمية والمناظرات الدينية وغيرها بما يعزز روح الثقة بالنفس من خلال هذه المجالس .

٩. تأدية الرحالين العرب مهمة سامية للأجيال القادمة لإسهام كتبهم التي الفوها في نقل الكثير من الصور الجميلة والمشاهدات المميزة لكثير من البلدان وطبيعتها الجغرافية .

١٠. اختلاف طريقة كتابة الرحلة بحسب ثقافة الكاتب وما يمتلكه من أساليب أدبية تمكنه من صياغة رحلته بأسلوب ادبي يجعلها سلسلة الملمس تذوب في مسامع القراء وتترك انطبعا جميلا خلفها.

١١. لاحظنا أن الوصف من أهم العناصر التي تمتاز بها الرحلة ، و الرحالة يعتمد على تصوير المعالم التي يشاهدها أن كانت هذه المعالم داخلية او خارجية .

١٢. تعتبر الرحلة وثيقة تاريخية يهدف الرحالة من خلالها الى البحث عن المعلومات عن البلاد التي قصدها الرحالة .

١٣. حفظت لنا الرحلات الكثير من الموروثات الأدبية ونقلتها لنا بصورة حية ، بعد أن فقد الكثير منها ، فهي أعطت صورة واقعية لمظاهر الحياة في مختلف البلاد من تقاليد وثقافات وعادات .

١٤. لايزال هنالك الكثير من المخطوطات العربية حبيسة الرفوف غطتها الاتربة في المكتبات ، لم ينشر ولم يحقق منها إلا القليل في سدّ النقص الأدبي و معرفة المعالم الجغرافية والتاريخية في التراث .

١٥. مالت أكثر التعبيرات عن الرحلة إلى التقرير والمباشرة ، وكذلك الإيجاز والإطناب في أكثر نواحيها وإن أطنب الرحالة أحياناً نظراً لكونه يحاول أن يودع أهله وموطنه

١٦. وأن أكثر سرد الرحالة كان يتلفظ فيه بلفظ الإرتحال بمشتقاته للتعبير عن نية الشاعر للسفر والإرتحال .

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما ابتدئ به القرآن الكريم .

١. زكريا، أبي الحسن أحمد بن فارس. (١٩٧٩ م). معجم مقاييس اللغة. ج ٢ . سوريا : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٢. مصطفى، إبراهيم. (٢٠٠٤ م). المعجم الوسيط . ط ٤ . مكتبة الشرق الدولية : مصر .
٣. ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم. (١٤٠٥ هـ). لسان العرب . مج ١١ . قم . إيران : نشر أدب الخوزة.
٤. عمر ، أحمد مختار . (٢٠٠٨ م). معجم اللغة العربية المعاصرة . ط ١ . القاهرة ، مصر: عالم الكتب .
٥. الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. (١٩٨٦ م). مختار الصحاح . بيروت . لبنان : مكتبة لبنان .
٦. الفراهيدي ، الخليل بن احمد . (٢٠٠٣ م). كتاب العين مرتبا على حروف المعجم . دار الكتب العلمية : بيروت – لبنان.
٧. الأزهري ، أبي منصور محمد بن أحمد. تهذيب اللغة . ج ٥ . مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٨. ضيف ، شوقي. (١٩٨٠ م). المعجم الوجيز . ط ١ . مصر : مطابع الدار الهندسية .
٩. الصعدي ، د. عبد الحكيم عبد اللطيف. (١٩٩٦ م). الرحلة في الإسلام- انواعها وآدابها . القاهرة. ط ١.
١٠. المكناسي ، محمد بن عبد الوهاب. (٢٠٠٣ م). رحلة المكناسي . ط ١ . أبو ظبي . الامارات العربية المتحدة : دار السويدي للنشر والتوزيع .
١١. العثيمين ، محمد بن صالح . (١٤٢٩ م). التعليق على ميمية ابن القيم . ط ١ . الرياض : فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

الرحلة في الأدب العربي..... (103)

١٢. فهم ، حسين محمد . (١٩٨٩م). أدب الرحلات . الكويت : سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .
١٣. الحمد ، محمد بن سعود بن عبد الله ، (٢٠٠٧) ، موسوعة الرحلات العربية والمعرية المخطوطة والمطبوعة . ط١. القاهرة : فهرسة دار الكتب والوثائق القومية أثناء النشر .
١٤. موسى ، سلامة . (٢٠١٤م) . حرية الفكر وأبطالها في التاريخ . مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة .
١٥. كينغليك ، أ. و . (٢٠٠٥م) . رحلة الى المشرق . ط١. أبو ظبي . الإمارات العربية المتحدة : دار السويدي للنشر والتوزيع .
١٦. ضيف ، د . شوقي . (١٩٥٦م) . الرحلات . القاهرة : دار المعارف .
١٧. الياقوت ، عبد الله بن عثمان . (٢٠٠١م) . أدب الرحلة الحجازية عند الاندلسيين من القرن السادس حتى سقوط غرناطة . المملكة العربية السعودية . أطروحة دكتوراه : جامعة أم القرى . كلية اللغات العربية .
١٨. قنديل ، فؤاد . (٢٠٠٢م) . أدب الرحلة في التراث العربي . القاهرة : مكتبة الدار العربية للكتاب .
١٩. منصور ، أنيس . (٢٠٠٦م) . أعجب الرحلات في التاريخ . مصر : مطابع الأهرام التجارية .
٢٠. أحمد ، د . أحمد رمضان . الرحلة والرحالة المسلمون . جده : دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع .
٢١. خليل ، د . عماد الدين . (٢٠٠٥م) . من أدب الرحلات . سوريا : دار ابن كثير .
٢٢. الرقيب ، أشواق فهد . (٢٠١٩م) . تجليات العجائبي في أدب الرحلات . جامعة الطائف . المملكة العربية السعودية : المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث ، العدد الأول ، المجلد الخامس .
٢٣. الشوابكة ، نوال عبد الرحمن . (٢٠٠٦م) . أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري : الجامعة الأردنية . أطروحة دكتوراه .
٢٤. ابن حماد ، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد . (١٩٥٩م) . رسالة ابن فضلان . سوريا: مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق .
٢٥. الشامي ، د . صلاح الدين . (١٩٩٩م) . الرحلة عين الجغرافية المبصرة . ط٢. مصر: منشأة المعارف بالإسكندرية .

٢٦. النساج ، د. سيد حامد. مشوار كتب الرحلات قديماً وحديثاً. القاهرة : مكتبة غريب .
٢٧. الكيلاني ، د. جمال الدين فالخ . (٢٠١٤ م). الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي . دراسة تاريخية . القاهرة : دار الزنقة للطباعة والنشر .
٢٨. حسين ، د . حسين محمود . (١٩٨٣ م). أدب الرحلة عند العرب . ط٢ . بيروت . لبنان : دار الاندلس للطباعة والتوزيع .
٢٩. العياشي ، أبو سالم عبد الله بن محمد . (٢٠٠٦ م). الرحلة العياشية . مج٢ . ط١ . الإمارات العربية المتحدة : دار السويدي للنشر والتوزيع .
٣٠. الفاسي ، أبي الجمال محمد الطاهر بن عبد الرحمن . (١٩٦٧ م). الرحلة الأبريزية إلى الديار الانجليزية . فاس . المغرب : مطبعة جامعة محمد الخامس .
٣١. باشا ، الأمير محمد علي . (٢٠٠٢ م). الرحلة الشامية . ط١ . الامارات العربية المتحدة : دار السويدي للنشر والتوزيع .
٣٢. الجرجاوي ، علي أحمد . (١٣٢٥ هـ) . الرحلة اليابانية . ط١ . مصر : طبعت بمطبعة الشورى .
٣٣. غريب ، جورج . (١٩٦٦ م). أدب الرحلة ، تاريخه واعلامه . المسعودي وابن بطوطة - الريحاني . ط١ . بيروت . لبنان : دار الثقافة .
٣٤. نواب ، عواطف محمد يوسف . (١٩٩٦ م). الرحلات المغربية والأندلسية . الرياض : فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .
٣٥. جلبي ، أوليا . (٢٠٠٦ م). الرحلة الى مصر والسودان والحبشة . مج١ . ط١ . مدينة نصر . القاهرة : دار الاوقاف العربية .
٣٦. الشافعي ، الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس . (١٩٨٥ م). ديوان الشافعي . ط٢ . القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية .
٣٧. زياده ، نقولا . (٢٠٠٢ م). الجغرافية والرحلات عند العرب . بيروت . لبنان : الأهلية للنشر والتوزيع .
٣٨. النووي . ابي زكريا يحيى بن شرف . رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين . مكتبة المنار : تونس .
٣٩. قينة ، بن عمر . (١٩٩٢ م) . أدب الرحلة في النشر الجزائري . رسالة دكتوراه . معهد الأدب العربي ، جامعة الجزائر .
٤٠. نصار ، حسين . (١٩٩١ م). أدب الرحلة ، ط١ . دار نوبار للطباعة : القاهرة .

٤١. فرشوخ ، د . محمد أمين . (١٩٩٦ م) . موسوعة عباقرة الإسلام في العلم والفكر والأدب والقيادة ج١. بيروت : دار الفكر العربي .
٤٢. العريان ، محمد عبد المنعم . (١٩٨٧ م) . رحلة ابن بطوطه (تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) . ج١. ط١. بيروت . لبنان : دار إحياء العلوم .
٤٣. ابن جبير، أبي الحسن محمد بن أحمد ، رحلة ابن جبير (رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك) . بيروت . لبنان : منشورات دار ومكتبة الهلال .
٤٤. عراق ، مصطفى . (١٩٨٧ م) . الرحلة إلى بلاد الأشواق . القاهرة .
٤٥. الأندلسي ، محمد العساني . (٢٠٠٣ م) . الرحلة التنويجية الى عاصمة البلاد الانجليزية . ط١. أبو ظبي . الامارات العربية المتحدة : دار السويد للنشر والتوزيع .
٤٦. الطهطاوي ، رفاعه رافع . (٢٠١٢ م) ، تخليص الإبريز في تلخيص باريز . مصر : مؤسسة هنداوي
٤٧. للتعليم والثقافة .
٤٨. الدسوقي ، عمر . (١٩٧٣ م) . في الأدب الحديث . ج١. ط٨. القاهرة : دار الفكر .
٤٩. الزيات ، أحمد حسن . تاريخ الأدب العربي . للمدارس الثانوية والعليا . القاهرة : مطبعة نهضة مصر .
٥٠. بروكلمان ، كارل . (١٩٩١ م) . تاريخ الأدب العربي . ج٣. ط٥: دار المعارف (ج ، م ، ع) . ص ٥٦ .
٥١. خلف ، د. عادل . (١٩٩٤ م) . الملاحظات اللغوية للرحالة العربي ابن بطوطه . ط١. القاهرة . مصر : مكتبة الآداب .
٥٢. النصيبي ، أبي القاسم بن حوقل . (١٩٩٢ م) . كتاب صورة الأرض لأبن حوقل . بيروت . لبنان : دار ومكتبة الحياة .
٥٣. المقدسي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء . (١٩٩١ م) . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . ط٣. القاهرة : مكتبة مدبولي .
٥٤. الجراح ، نوري . (٢٠٠٤ م) . رحلة ابن خلدون . ط١. بيروت . لبنان : دار الكتب العلمية .

٥٥. ابن خلدون، عبد الرحمن. (٢٠٠١ م). مقدمة ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر): دار الفكر والنشر والتوزيع للطباعة.